#### مقـالات في :

#### نقـد القصة الفلسطينية

الأستاذ الدكتور

نبيل خالد أبو علي

الجامعة الإسلامية - غزة

قصــة :

مهرجان في سوق الباذنجـان [[1]](#footnote-1)•

##### **للقاص عثمان خالد**

دراسـة تحليليـة

براءة .. هي الدليل على انتهاك كرامة إنسانية ، وبريء قبل أن يمثل أمام القاضي ذاق صنوفاً من العذاب كي يعترف بجريمة لم يقترفهـا .. ومع ذلك فان كلمة براءة هي الدليل المادي على وجود أناس يتصفون في نهاية المطاف بالموضوعية ؛ ويتسمون بالعدل أو بعضه ؛ ويسهرون - غالباً - على تحقيق العدالة ودفع الباطل .

وما بين الاتهام والبراءة رحلة ألم ومعاناة تصور انعكاساتها قصة "مهرجان في سوق الباذنجان" للقاص عثمان خالـد أبو جحجوح([[2]](#footnote-2)) ، تلك القصة التي يحاول كاتبها لفت الأنظار إلى قضية إنسانية هامة تردد صداها بين الفينة والأخرى في جنبات المجتمع الفلسطيني الذي يحرص أهله على تطهيره من الخفافيش التي تعمل على تقويض دعائمه والالتفاف على نضال أبنائه وإنجازاتهم .. فيرصد فيها الكيفية التي تتم بها عملية التحقيق التي تسبق التطهير ، ويصور انفعالات مختلف شرائح المجتمع بها ، ثم يتركنا نتأمل التعسف والظلم الذي قد ينتج أحياناً عن المبالغة والتشدد في قطع دابر الفساد والمفسدين .

تهتم قصة "مهرجان في سوق الباذنجان" بتصوير مشهد تكررت رؤيتنا له ، ودخلت المصطلحات الدالة عليه في معجم انتفاضتنا اللغوي ، إنه مشهد التحقيق الذي يسبق عملية "الردع" أو "القمع" ؛ حيث نرى شاباً في العشرين من عمره معصوب العينين ، مقيد اليدين والقدمين ، ممدداً على الأرض وسط دائرة بشرية ضخمة في ساعات الصباح المبكرة ؛ يقال أنه ممن يروجون المخدرات ويمارسون الجنس . وقد انعقدت هيئة المحكمة في جلسة علنية وسط ميدان رئيس يعد شرياناً حيوياً لتجمع سكاني ضخم ؛ فهو موقف للحافلات ووسائل المواصلات ؛ وطريق لطلاب المدارس والموظفيـن ؛ ومفترق يجتازه رواد سوق الخضار المواجه للميدان . ومن خلال بطل قصتنا وموقفه من تلك الدائرة البشرية الضخمة التي احتلت موقف الحافلة التي تقله وبقية العمال إلى أماكن عملهم تدور أحداث القصة لتعكس هموم الإنسان الفلسطيني بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .. ، ومن وسط تلك الهموم والانفعالات والتوتر يظهر البعد الإنساني الذي تكشف عنه المفارقة العجيبة في القصة ، وهى براءة المتهم الذي ذبحت كرامته وأريق ماء وجهه .. !!

إن الحدث الذي تعالجه القصة حدثاً مألوفاً في بيئة الانتفاضة ، فكثيرون هم الذين لم يأسف الشارع الفلسطيني على اجتثاثهم ، ومع ذلك فقد برع القاص في التغلغل في أعماق إنسانيتنا ليحول المألوف مستهجناً والمشروع محرماً ؛ حيث فاجأنا بنهاية غير متوقعة .. إنها البراءة وإن ولدت ميته ؛ أو العدالة وإن لم يختلف مذاقها عن مذاق الظلم .

والقصة هنا تصور حدثاً كاملاً تحققت وحدته من خلال عدة مشاهد نتجت عن المشهد الدرامي المركزي في القصة ، واتضحت ملامحه من خلال عدة شخصيات أبرزها شخصية ذلك العامل البسيط الذي أقحم في لجة الحدث بعفوية تشهد للقاص بالبراعة ، فهو لم يدفعه الفضول لمشاهدة الحدث ، ولم يتصد طائعاً لرصد معظم ما يجول في خوالج النفس البشرية من هموم حياتية وانفعالات متضاربة انفجرت لحظة وقوع الحدث .. لقد رأيناه بعد أن فشل في العثور على الحافلة التي تقله إلى مقر عمله يزاوج بين هموم واقعه الخاص وانعكاسات المشهد العام ، تارة يتنصت على أصوات بائعي الخضار في السوق فتنفرج أساريره لتدنى الأسعار فيعلق على نداء بائع البندورة : " الرطل بشيكل بس " بقوله : "لقد انخفضت أسعار البندورة" ، وعلى نداء بائع الملوخية الذي أعلن أيضاً أن الرطل بشيكل بقوله : "آه لقد انخفضت أسعار الملوخية "، وتارة أخرى يحاول الاقتراب من مجريات الأحداث فيلتقط سمعه تعليقات شتى لا يخرجه منها عن دائرة الصمت إلا قول أحدهم : "يقولون إنه من تجار الـ .. ويمارس الزنا " ؛ حيث يعقب بقوله : "ومن منا ينسب القول للسانه " .. وهكذا إلى أن ينتهي المهرجان فنراه قد ملأ سلته بالخضار التي تسبب المهرجان في رخص ثمنها وقفل راجعاً إلى بيته تتنازعه أحاسيس شتى ، وتصطرع في داخله مشاعر السخط على واقع كاد الظلم فيه أن يصل إلى منتهاه ، والشفقة على واقع آخر يشترك فيه المظلوم البريء مع ابنه القابع خلف أسوار القهر .

وشخصية البطل هنا شخصية نمطية تمثل شريحة عريضة من شرائح المجتمع - شريحة العمال - وتعكس من خلال سلوكها وطريقة تفكيرها العوامل المحيطة بأفراد تلك الشريحة ومدى تحكمها في سلوكهم وتوجهاتهم في زمان ومكان محددين . ولعل هذا أحد العوامل التي جعلت القاص لا يهتم بتسميتها ؛ إذ إن التسمية - سواء أكانت بعمرو أم زيد..- لن تخرجها من العمومية إلى الخصوصية . وكذلك لم يتوقف كثيراً عند تحديد صفاتها دفعة واحدة ، بل ترك الأمر للقارئ لكي يتبين تلك الملامح والصفات من خلال تفاعلها مع الحدث وسلوكها في كل موقف ، ومع ذلك فهي في نهاية المطاف شخصية حية تدب على أرض الواقع بصفات محددة ومعالم واضحة ، فمن صفاتها الجسمانية نتبين - مثلاً - كبر السن ".. ولكن فضوله قد ضعف أمام عضلات العمال من الشباب .." ، كذلك نكتشف أنه قصير القامة حينما يعجز عن رؤية المتهم "فدس رأسه الذي اصطدم بمؤخرة طفل ، حيث كان أطفال المدارس قد سدوا كل الثغرات.." ، وهو نحيف ضعيف الجسد تقذفه لطمة طائشة من كف امرأة بعيداً " .. كانت اللطمة قوية جعلته يندفع نحو الدائرة قافزاً بقوة .." . ومن صفاته المعنوية نتبين المحايدة التي وصلت إلى درجة السلبية "تراجع قليلاً .. وقف على الرصيف .." ، ومع ذلك فهي سلبية مبررة بواقع التحقيق ومن ثم بالواقع السياسي العام ، كذلك نتبين موضوعيته واتزانه " .. من منا ينسب القول للسانه ؟! " حيث تأنف نفسه الاستماع إلى الشائعات وظلم الناس .. إلى غير ذلك من الصفات المتناثرة بين خيوط القصة .

أما الشخصيات الثانوية في القصة فكثيرة متعددة الأدوار مختلفة السمات ، منها ما كان ضبابياً لم تظهر إلا حركته وهيئته ليشارك في تكوين المشاهد .. ، ومنها ما اختفت ملامحه وبدت دخيلة نفسه .. وإجمالاً فإن هذه القصة قد اشتملت على أنماط متعددة من الشخصيات التي قلما نجدها في قصة قصيرة ، فالشخصية حسب أهميتها والدور الذي تقوم به نجدها واضحة بأقسامها الثلاثة كما حددها النقاد ([[3]](#footnote-3)) ، وهى :

1- الشخصية الرئيسية : وتتمثل في شخصية العامل التي تبينت لنا آنفاً.

2- الشخصيات الثانوية أو المكملة : ونتمثلها في الباعة في سوق الخضار ، والشخصيات الناطقة من رجال ونساء وأطفال .. وقد تعاونت هذه الشخصيات جميعاً في إبراز الشخصية الرئيسية ، وفي إظهار جوانب الصراع - صراع الأهواء والمصالح والرغبات - واستكمال جوانب الحدث ووحدته . فذاك بائع يصور أثر عملية القمع وحشودها من البشر على وجه الحياة في السوق بقوله : ".. مهلاً على عرض البضاعة، هاليوم مش راح يمشى بخير .." ، إنه حدث تتوقف معه دورة الحياة ، وتتوقف حركة المجتمع . وآخر نراه مغتاظاً يعكس في ندائه على المشترين ما يعتمل في صدره من أثر الموقف على بضاعته والخسارة التي ستلحق به ، " أسود من الليل يا باذنجان .. البيع اليوم بالبكسة .. والبكسة باثنين شيكل .. مين قال دير ..". وثالث يصور ما أصاب شريحة التجار عامة في هذا اليوم بقوله : " لقد راحت سروتنا .. وضاعت خضرتنا ..".

أما باقي الشخصيات الثانوية فقد كان لتعليقاتها أكبر الأثر في إظهار موقف المجتمع من ظاهرة القمع أو الردع ، إذ نسمع تعليقاً يظهر الجانب الإنساني في مطالبته بالرحمة : ".. ارحموا شبابه .. يا ناس .. ارحموا طفله الرضيع .." ، وآخر يظهر الصرامة والتشدد ويعترض على رأى طالبي الرحمة ، من ذلك ما نسمعه في الحوار الدائر بين امرأتين :".. مسكين هذا الشاب .. إنه بعمر الورد .. قالتها إحداهن فتلقت رداً من جارتها قوياً وساخناً : أي ورد هذا ؟ قولي شوكاً .. سِليّات سامة .. الورد الحقيقي هناك ، تحت الشمس وفوق الثلج ..".

3- النوافل أو الكومبارس : ونتمثلها في جموع الناس من عمال وموظفين وتلاميذ ونساء .. وقد شاركت هذه الشخصيات جميعاً في إظهار مدى اهتمام المجتمع بمثل هذا الحدث ، كما عكست وعيهم بخطورته حيث سمعناهم جميعاً يرددون التهمة : " يقولون إنه من تجار الـ .. ويمارس الزنا " ..

لقد أفلح القاص في تصوير الحدث دون أن يشارك فيه([[4]](#footnote-4)) ، حيث اختبأ بحنكة خلف الشخصيات وتركنا نرى الأشياء من خلال حديثها وسلوكها الأمر الذي برر به إنطاق تلك الشخصيات بلغتها اليومية التي تمثل شريحتها وواقعها الاجتماعي والثقافي . ومع أن قضية العامية والفصحى ما زالت مثار خلاف لدى نقاد القصة([[5]](#footnote-5)) إلا أن إنطاق الشخصية بلغة قريبة من لغتها في الواقع سواء أكانت عامية أم فصحى تجد تأييداً كبيراً لدى كثير من النقاد ، وتبريراً يصل عند بعضهم إلى درجة الإلزام ، يقول رشاد رشدي : " الكتاب ليسوا أحراراً في أن يجعلوا شخوص قصصهم تتكلم أو تفكر بالعربية الفصحى كما يتراءى لهؤلاء الكتاب ، فإن من البديهي أن أية قصة تحاكى حدثاً ، وأن أي حدث يحكى الواقع ، واقع الحياة التي يمثلها الحدث . ولا أعتقد أن أحداً من كتاب القصة عندنا أو في العالم أجمع ينكر أنه واقعي ، فإن كيان الكاتب القصاص إنما يقوم على هذه الواقعية ، أي على محاكاته للواقع وقدرته على إقناع القارئ بأن قصته تمثل هذا الواقع ..([[6]](#footnote-6)) .

**عـود على بـدء :**

لقد برع القاص في إحكام نسيج قصته حتى كانت رغم الشبه الكبير بينها وبين الرواية من حيث العمق والثراء وكثرة التفاصيل والشخوص ، أنموذجاً فنياً لقصة قصيرة تشتمل على معظم مواصفات العمل القصصي الجيد ؛ حيث توفرت فيها جميع العناصر الحيوية المطلوبة في القصة القصيرة ؛ من إيجاز واهتمام وتوتر([[7]](#footnote-7)) . وكذلك جسدت تقنيات النقاد وضوابطهم لماهية البيئة أو الوسط في القصة القصيرة سواء على صعيد الزمان أو المكان أو القوى والعوامل التي تحيط بالشخصية وتشكل مع موروث تلك البيئة صفاتها وتؤثر في تصرفاتها([[8]](#footnote-8)) ، فالحدث محدد - زماناً ومكاناً - مع أنه يتم في مشهدين متلاصقين يعطى كل منها للآخر أبعاده ودلالاته ، فمشهد التحقيق انعكست آثاره على مشهد الباعة والسوق ، ومشهد السوق والباعة أسهم بطريقة جلية في إعطاء مشهد التحقيق رموز دلالته .. أما أثر العوامل والقوى الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد في تلك البيئة فقد تجلت في سلوك الشخصيات وانفعالاتها ..([[9]](#footnote-9)) .

قد يبدو الأمر ضرباً من ضروب المغالطة أو التلاعب بالألفـاظ، فكيف تكون القصة واضحة المعاني والأبعاد ؛ كثيرة التفاصيل والشخوص وفي الوقت نفسه موجزة تحافظ على عنصري الاهتمام والتوتر وتجرى أحداثها - حدثها - في بيئة واحدة ..

نعم لقد تكفل التكثيف والإيحاء بمهمة الشرح والتفصيل ، وتجلت مقدرة اللغة على خلق تيار من الإشعاعات المتتابعة التي تتكفل بمهمة التعبير عن أدق التفاصيل بالقليل من الكلمات والتراكيـب ، كما تكفلت الشخصيات الثانوية والنوافل باستكمال أبعاد ودلالات المضامين المختزلة والموجزة ؛ إضافة إلى تسليط الأضواء على الشخصية الرئيسية .

بقي أن أشير إلى بعض الشواهد التي تدلل على الإيجاز والكثافة وفي الوقت نفسه تحمل في طياتها الكثير من المضامين والدلالات التي تثرى القصة بالتفاصيل وتعكس أصداء الواقع الفلسطيني . وأول ما يستوقفنا في هذا المجال عنوان القصة ودلالته في التعبير عما يجول في ذهن القاص من أفكار ووجهات نظر([[10]](#footnote-10))، إنه مهرجان سمته الكثرة والاختلاط والاضطراب([[11]](#footnote-11)) وللتأكيد على هذه الصفات وضع المهرجان في السوق حيث يختلط الحابل بالنابل ، ثم جاء الباذنجان ليصف السوق بالسوداوية ويضفي سمة التشاؤم.. وقد كان لهذا العنوان دلالته المنبئة عن سبب وقوع الحدث والأزمة التي تمر بها الشخصية ، فالحدث وليد ظروف بيئية طارئة أما الشخصية فهي شخصية واقعية تمر بظروف غير واقعية .. ليشكلان في نهاية المطاف المعادل الموضوعي للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعبر عن انسحاق الفلسطيني ومعاناته.

ثم يستوقفنا تقابل الفجر والفضاء مع غلالة أواخر الليل في قوله : "كانت خيوط الفجر تغزو الفضاء حينما ابتلعته غلالة أواخر الليل .."؛ حيث نرى البشرى في مرآة عنصر الزمان ، بشرى تتصل بنهاية الأزمة وانتصار الخير على الشر لأنه قادم مع خيوط الفجر ، وبشرى تتصل بالواقع السياسي العام فتتصدى لوحشة الليل والتشاؤم وتنبئ بواقع أكثر أماناً واستقراراً ؛ يغزو المنطقة - الفضاء - مع خيوط الفجر ..

كما تبدو حنكة القاص في تخييل نهاية مغايرة لمشهد التحقيق في قوله : ".. فلسعته نسمة شرقية باردة ، اشتم معها رائحة مسلخ المدينة.." إذ يجعل القارئ يتخيل ما سينتهي إليه التحقيق من قمع أو ردع من خلال استحضار دلالات المسلخ ، ويمعن في جرف القارئ بعيداً عن النهاية التي أرادها حينما يورد نداء البائع : " .. أحمر من الدم يا بندورة " فالنداء مألوف ولكن توظيفه جاء ملائماً لرائحة المسلخ ، أو فلنقل متمماً لدلالته التي تتساوق مع المألوف على أرض الواقع من نهايات لمثل هذا المشهد .. وبالتالي فإن القاص يبدو حريصاً على تحقيق عنصر المفاجأة الذي تحمله النهاية غير المتوقعة للأزمة.

وتتجلى براعة الموتيف Motif : "الدائرة تلد رفاً وتحمل رفوفاً‎" في تصوير الاضطراد في ازدياد العدد المتجمع حول المشهـد ، كثرة القادمين وقلة المنصرفين ، كما تصور شدة اهتمام المجتمع بهذا الحدث .

أما نداءات الباعة على صنوف الخضار في السوق فتعكس تراث السوق الفلسطيني ومفردات معجمه اللغوي ، كما تعكس صدى الواقع الاقتصادي المعاش . إلى غير ذلك من المضامين والدلالات التي أثرت القصة وأمدتنا بالكثير من التفاصيل .

# 

# قراءة نقـديـة لنـص

## الأشيـــاء .. ([[12]](#footnote-12))

## للقاص خليل حسونة

عرفت خليل حسونة منذ عودته إلى أرض الوطن أديباً شاعـراً ، وقاتل الله الغربة التي عزلتنا عن أدبه وإبداعه طوال فترة ابتعاده عن وطنه وأهله . لقد أهداني الأخ خليل حسونة عند عودته مجموعة من إبداعاته الشعرية والنثرية فكانت عربون تعارف وصداقة([[13]](#footnote-13)). والحقُ أقول إنني وجدته في تلك الكتابات مبدعاً يسير في الفلاة بغير دليل.. فهو لا يستهدي بنظرية الأجناس الأدبية ، ولا يسترشد بضوابط كل جنس كما اصطلح عليها النقاد ، إنه يجرب التمرد ويعلن الثورة ، لذلك أشدد على وصفه بالمبدع ، ذلك لأن الإبداع هو خروج عن المألـوف ، وكتابة على غير هُدى ، أو دون احتذاء أنموذج سابق .. والسؤال المطروح اليوم هو: هل كان إبداع حسونة محموداً أم أنه من النوع المذموم الذي يسميه الشرعيون بدعـة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال تناول هذا العمل الأدبي الموسوم باسم "الأشياء" الذي أصدره خليل حسونة في غربته عام 1992 ، وصنفه تحت جنس الرواية .

وأرى أن أبدأ قراءتي باستنطاق عتبات هذا النص ، ومنها :

**1ـ العنوان : الأشياء** ، وهي الأمور المعلومة كما جاء في معاجم اللغة ، أما أنا فأرى أنها الأمور التي توهم بأنها معلومة ، ولكن في الحقيقة إن التعريف فيها لا يعني من حيث الدلالة حصراً أو تحديداً ، فالأمر مفتوح على الغارب ، وتبقى الدلالة محددة بحدود قصد الكاتب ، وما يعتمل في صدره .. لا نستطيع أن نقول له إن الذي تتحدث عنه لا يندرج تحت دلالة لفظ الأشياء .. وأرى من خلال رؤيتي لدلالة هذه العتبة أن الكاتب موفق أيَّما توفيق في اختيار هذا العنوان لنصه ، ذلك لأن النص يحتوي على أشياءَ عديدةٍ قد لا يجمعها إلا العنوان ، وقد تجمعها غاية الكاتب في تهشيم أشياءِ الواقع الذي لم ينصفه ، وقد يجمعها أيضاً ميله إلى تجريب أشياءٍ جديدةٍ في الكتابة .. وإلا فكيف نفهم قوله : "أحب والدي وأحقد عليه" ، بعدما قدمه من صفات هذا الأب الذي علم أولاده القيم والفضيلة ؟ قد يقول الكاتب إنه الحقد الطفولي المرتبط بوقوف الأب في طريق تحقيق الرغبة بالحصول على الجوارب الجديدة ! ولكن هل يقنعنا هذا التبرير ونحن ننظر إلى تاريخ كتابة هذا النص . وكيف نفهم قوله أيضاً : "أمارس فرحي من خلال حزني" ، وقوله : "الحب احتفار أعمق لكثير من المشاعر" ، وقوله : "البحر .. ما أجمل البحر .. ما أسوأ البحر" ، وقوله : "الصبر مفتاح القهر" ..([[14]](#footnote-14)).

ثم ما هي طبيعة تلك المشاعر التي تنتج مثل هذا الوصف في قوله: "لحظةٌ فاصلةٌ ، وامرأةٌ تتدفقُ حتى خانة الصحو .. شواهدُ القبورِ ، قرابين وحُمى .." ، وقوله: "كانت تبتسمُ للجثث .. فتتحركُ شواهدُ القبورِ .. وعبر النشوةِ .. تضحكُ وهي تلتصقُ بالجلدِ"([[15]](#footnote-15)).

إنها أِشياء يجمعها التنافر ، لغاية قد نراها تعبر عن عدم انسجام الكاتب مع الواقع، ورغبته في تهشيمه ، أو فلنقل تعريته لتبدو تناقضاته بكل سوءاتها .

**2- صفحة العنوان الداخلية :** وهذه هي العتبة الثانية كما نراها ، وهي ترتبط بالعتبة الأولي وتعمق دلالتها ، ذلك لأن الأشياءَ فيها تجسد حالة الفوضى والاضطراب ، وتشي بعد الانسجام أو الترابط فيما بينها ، وأعتقد أن هذا ينسجم مع ما نراه من تفكك نسيج هذا العمل ، أو فلنقل غياب النسيج بطريقة قصدية ، إذ يلاحظ قارئ هذا العمل قيام كل لوحة أو خاطرة بذاتها ، نعم يربطها خط خفي نتمثله في رسم مشاهد الفقر والبؤس ، ومشاهد الهزيمة والقهر ، والرغبة في استنطاق وعي المتلقي لمشاركة الكاتب رؤاه .. ولكن ماذا لو حذفنا جزءاً أو غيرنا موضعه ، تقديماً أو تأخيراً .. هل يتغير شيء ؟

قد تكون هذه السمة هي خصوصية هذا العمل الذي استخدم فيه خليل حسونة براعته في التجريب ، وبراعته في تفكيك الأشياء ، أو تبادل مواقعها ، أو قيام باقي الأشياء مكان أي شيء يحذف .. لذلك كنت أتمنى ألا يجنس هذا العمل ، وألا يقيد بحدود الرواية ، لأنه في ظني لا ينتمي لجنس الرواية ، ولا لجنس السيرة الروائية مع أنه يقترب منها جداً .. وهذا أمر لا يعيبه ولا ينتقص من قدره ، فليبق نصاً أدبياً خارج نطاق الأجناس الأدبية التقليدية .

**3- الإهداء :** وهو عتبة نصية لا تخلو من القصدية في اختيار المهدى إليه ، وفي اختيار العبارات ، وهو غالباً يرتبط بدلالات النص بوشائج قوية ، كما أنه يوجه القارئ الوجهة التي يريدها الكاتب ، ونص إهداء الأشياء هو : *"إلى كل من يقف ضد القهر والظلم والجوع .. إلى كل من يعمل من أجل الحرية وآدمية الإنسان .. وإليها .. حيثما كانت .."* وكما هو واضح فإن الإهداء ينقسم إلى قسمين ، قسم أعلن فيه عن صفات المخاطب ، وحاول أن يحدد فيه شريحة من الناس تتسم بهذه الصفات ، وآخر أضمر فيه المخاطبة ليغرينا بمحاولة اكتشافها والتعرف عليها ، وقد حاول في القسم الأول أن يوجه عنايتنا إلى ماهية هذا النص وغايته ، هذه الغاية التي يمكن التعبير عنها بالقول إنه شكل من أشكال مقاومة القهر والظلم والجوع للوصول إلى الحرية.

وفي ظني إن هذا الإهداء يلملم خيوط الدلالة التي سعى إلى ترميزها في النص ، ويحدد حقولها الدلالية بدقة ، من ذلك ما نتمثله في بعض هذه الحقول، مثل: حزيران والدم الأزرق : التي تمثل القهر والهزيمة والحرمان ، أو الحقيقة المجردة ، هذه الدلالات وغيرها نستشفها من مثل قوله : "حزيران امرأة تمارس عُريها .. الجوع يمشي على قدمين ، فيبصر الأطفال موتهم .." ، وقوله : "فحزيران يمتـد عند البعض حتى الأزل ، والدم الأزرق، جندي أزرق ، والفضاء فضاء .. ، وقوله : "وننزعج أكثر من الفرح للدم الحزيراني الأزرق .. فتكاد الحقيقة تضيع بين إرهاب العدو ، وسكين ملوك الطوائف .."، وقوله : "أما الخيام ، والضائعون ، فالعين تكرههم ، لسبب يعرفه الدم الأزرق، ولا أجهله ، ولا يمر هذا ببالهم.."([[16]](#footnote-16)) ، وغير ذلك من الحقول الدلالية التي يعج بها النص ، والتي لا تبتعد مضامينها عن دلالات الإهداء .

**4- ملامح الأشياء :** لوحة تجريدية أحسبها للكاتب ، وقد سماها ملامح الأشياء ، وبعد إنعام النظر فيها نرى أنها ترتبط برؤية الكاتب وغايته بوشائج قوية ، كما أظن أنها عتبة في غاية الأهمية للكشف عن دلالة بعض الحقول الغائمة ، التي لم يتمكن الكاتب من البوح بمكنونها لاعتبارات قد لا تكون خفية ، فاللوحة تصور امرأة عارية ، تنبعث من بين الأسلاك الشائكة ، بطريقة حيية تغري بتفحص الجزء الأعلى من أشياء أنوثتها ، وهي في ظني ينبغي أن تشير إلى الوطن والأرض ، على اعتبار أن المرأة رمز لهما عند سواد الكتاب والنقاد، ولكن لماذا هذا العري ؟

لعل لخليل حسونة رأي مختلف أدى إلى اختلاف الرمز وبالتالي اختلاف دلالته ، يؤكد ذلك ما نراه من وشائج نصية تتصل بأبعاد هذه اللوحة ، من ذلك قوله : "كان المخيم مزروعاً في التراب ، ومنقوعاً في الجلبة الصامتة ، النقاط البشرية تتحرك بلا هدف .. ومدن الملح يُحاصرها الملح .. والنفط قيظ ، وأفخاذ، ومزارع للنسوة.."([[17]](#footnote-17)) ، وقوله : "اتبع الأرض ، إنها لا تأتي إليك، ما دام مغتصبها يضاجعها، وتنجب له أطفالاً بحجم المأساة والكراهية .. تقدم وليحترق العالم .."([[18]](#footnote-18)) ، وقوله : "كل شيء قابل للتغيير .. وسنسقط الأقنعة ، والأجزاء المشطورة ستلتحم كلها.."([[19]](#footnote-19)) . ولكن ماذا عن تكرار بعض المشاهد والكلمات التي لا تحتمل سوى الدلالة الجنسية ، كقوله : ".. تقدمت .. وقفت ، امتدّت ، تمايلت حتى الانسكاب .. تكورت .. أصبحت نقطة وجد مضيئة وحالمة .."([[20]](#footnote-20))، وقوله : "كثيراً ما كانت تسكب ذاتها إذا ما غمرتني بالقبل"([[21]](#footnote-21))، وقوله: "داعب والدة فاطمة ، فتح حبوتها ولامس اللحاف بهدوء .. مرّ ببطن كفه على الساق تحت اللحاف، وضُحَ تداخلُ السيقان ، وغارت الأشياء الباهتة من لحم الليل بعد أن اقترب الاشتعال في الجسد.."([[22]](#footnote-22)).

قد تجد هذه العبارات والمشاهد في فضاء لوحة ملامح الأشياء ما يساعدها على الكشف عن دخيلة الكاتب ، وما يصطرع في لا شعوره .

**5- الاستهلال :** وهو في هذا العمل مقتبس منتخب من قصيدة "آيات من سورة اللون" للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ، والاستهلال كعتبة نصية لابد أن يشتمل على العديد من الوظائف النصية التي من بينها توجيه مسار القراءة ، أو اختزال جانب من تصورات الكاتب ، أو تلخيص مضمون العمل ، والمقتبس الذي انتخبه الكاتب غائم الدلالة ، لا يمتلك وسائل توجيه مسار القراءة، خاصة إذا ما نظرنا للعتبات النصية السابقة ودلالاتها ، ولكنه قد يتصل في دلالته العامة مع بعض مضامين النص ، كالمضمون السياسي مثلاً .

**6-** العنوانات الداخلية للنص وتفريعاته : لقد اختار الكاتب عنوانات النص الداخلية بعناية فائقة ، ثم هندس تفريعاتها بانتقائية لا تتصل بجوهر النص بقدر اتصالها ببريق الشكل وفلسفة التجريب ، وفي ظني إن جميع هذه العنوانات ـ صندوق الدنيا ، في البدء كانت حجارة ، دوائر للحزن ، دوائر للذاكرة.. وتفريعاتها : المسافة الأولى والثانية والثالثة ، الأطفال أكثر عافية ، الطاعون .. ـ تقوم بذاتها ، ولا ترتبط مباشرة بما جاء تحتها ، ويجوز القول إنها تنسجم مع خروج هذا النص عن المألوف ، وأنها تشكل في ذاتها المفككة إضافة للنص ترتبط بطبيعته التجريبية .

**وبعــد ..**

فإن الكاتب يمتلك حصيلة لغوية ساعدته على إبداء مهارة عالية في تعمية الدلالة وتهشيم الصورة غالباً ، لذلك أرى النص مقطوعات نثرية رائقة تنتمي في معظمها للرومانسية الحالمة ؛ لفظاً وصياغة وتصويراً .. وللواقعية الانتقادية مضموناً ودلالة ، وهو في رأيي يمكن أن يوصف بأنه نزيف الذاكرة وشظايا الروح وانعكاساتها.

**ومضـات نقـديـة :**

1. يشتمل النص على بعض المشاعر المدسوسة التي تحاول أن تبوح بشيء يختلج في صدر الكاتب ، ولكنها لا تبوح إلا بضبابات وصور تقترب من الرؤى الحلمية ، ذلك لأنها تأتي في غير موضعها من النص ، كأنها تتسلل على استحياء لتعلن عن نفسها ، من ذلك مثلاً قوله : "الأفق يحتجز الأفق .. أشواق تعانق وردة .. وجه الطيف يمتد حاملاً حفنة ألوان ، يُعالج بعضها فينفلت البعض الآخر .. هوس الأشياء يمتد نحو الأشياء .. ودائرة الحلم ذكريات مضت ، وأحداث آتية .. لا تنثني رغم جمود اللون .. وامتقاع اللحظات .. ينفلت الضوء من الضوء .. تمد يدها إلي ، فيتضرج وجهها بخفر الحُمرة .. وعندما تلتقي العينان تبتسم ، فيندغم التيار الأهوج من حُمي الشبق ، حيث التقاء الشفق الأرضي مع وجه السماء .."([[23]](#footnote-23)).

إن المقتبس السابق لا يعني في سياق النص العام إلا الحذلقة اللفظية وشهوة الكتابة ، واستعراض القدرة ، ذلك لأنه ورد في سياق الحديث عن الفقر وثوب الأم الممزق ، ولكنه لو انخلع من مكانه سيقول أكثر ، وسيمتلك القدرة على البوح بطاقات التعبير الكامنة فيه .

1. الكاتب يستمرئ الحديث عن حياة الفقر ، ويتلذذ في الاستطراد بذكر تفاصيلها ومفارقاتها ، وشواهد ذلك عديدة ، منها ما نراه في وصف مظاهر البذخ في اصطياف أهل غزة على شاطئ البحر ، ومقابلة ذلك ببؤس الراوي ؛ وهو الصبي الصغير الذي يحاول الكسب من خلال بيع اللب والترمس على المصطافين ، وكذلك ما تبوح به مشاهد محاولات الراوي تقليد أبناء الأغنياء في الحصول على شطيرة لحم وكوب لبن من مقصف المدرسة ..([[24]](#footnote-24))، وهو بذلك لا يعبر عن الفقر المريع للراوي فحسب ، بل يتطرق بقوة لتركيبة المجتمع الفلسطيني الطبقية ، ويستعرض الحالة الحياتية لشريحة بائسة من شرائح المجتمع الفلسطيني .
2. إن إصرار الكاتب المتكرر على اختراق القشرة الخارجية للتركيبة الطبقية للمجتمع الفلسطيني ، ثم تسليط الأضواء على مفارقات الواقع الاقتصادي بين مجتمع المدينة ؛ ومجتمع المخيمات التي نشأت بعد نكبة فلسطين عام 1948م ، ثم استقصاء واقع المخيمات حتى العام 1967م ، ليخلق للقارئ حالة معرفية عن المرحلة الممتدة ما بين النكبة والنكسة ، حيث يتعرف القارئ على طبيعة الحياة الاجتماعية بكامل تفصيلاتها ، كذلك الحياة السياسية ؛ وكيف أفضت العوامل الاقتصادية والاجتماعية إلى التحول السياسي تجاه الثورة والفعل العسكري .

كذلك يعكس أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في صياغة الجانب النفسي للراوي والشريحة التي يمثلها – سكان المخيمات - ، ويبرر الاضطراب والتناقض الذي يسود بنية النص ؛ وما لاحظناه من حرص الكاتب على تهشيم الأشياء ، الأمر الذي قد يعبر عن رفض هذا الواقع والثورة عليه .

1. أما فيما يخص علاقة الشكل بالمضمون ، فقد لاحظنا الانسجام التام بين تبعثر أشلاء المضمون ؛ والشكل الثوري المتشظي الذي يتمرد على تقنينات الرواية ، الأمر الذي نكتفي في تبريره بالإشارة إلى انتماء النص إلى حداثة التجريب التي تتجاوز المألوف شكلاً ومضموناً ..
2. أما المرأة في النص فنراها مكتنزة بالرموز المتقاطعة ، فالأم مثلاً هي الوطن البائس الذي يرتدي الثياب المرقعة ، وهي الأرض التي لن تخلص لمغتصبها حتى لو أنجبت له الأبناء، وهي الدفء والحنان الذي ينشده الراوي ، أما "فاطمة" فهي الحلم البعيد ، وهي المرأة التي تمارس عريها فتثير الشهوة وتدغدغ المشاعر ، وهي الأرض المعشوقة التي تخرج من وجدان الراوي بطريقة فجائية لتشد البوصلة وتوجهها إلى الطريق الذي يجب أن يسلكه الشعب الفلسطيني ..

##### قضية التعايش بين العرب واليهود

###### في مجمـوعـة

الصبي والشمـس الصغيـرة ([[25]](#footnote-25))

**للقاص غريب عسقلاني**

**(إبراهيم الزنط)**

اهتمت الصفحات الأدبية في الصحف المحلية بكتابات غريب عسقلاني القصصية ، وبدأت قصصه القصيرة رحلة الانتشار على صفحات الفجر والاتحاد والشراع والبيادر .. منذ منتصف السبعينيات تقريباً ، وفي أواخر السبعينات أصدر غريب مجموعته القصصية الأولى "الخروج عن الصمت" - سنة 1979م - ، وفي العام نفسه أصدر رواية "الطوق" . وفي ظل الانتفاضة أصدر غريب مجموعته "حكايات عن براعم الأيام" - سنة 1990م - ، ثم مجموعة "الصبي والشمس الصغيرة" - سنة 1992م - ومنذ زمن غير بعيد دفع بروايته "زمن الانتباه" إلى عجلة المطبعة . أما مجموعته "الصبي والشمس الصغيرة" فتشتمل على عشر قصص ، خمس منها كتبت قبل الانتفاضة ، والأخرى كتبت زمن الانتفاضة . وقد عالج القاص في هذه القصص عدة قضايا أهمها :

**ـ قضية التعايش بين العرب واليهود** :

اتضحت هذه القضية بصورة جلية في قصة "وردة بيضاء من أجل ديفد" ، حيث نرى الاحتلال الإسرائيلي واقعاً ، فهل يمكن التعايش معه ؟ وكيف ؟ هذه هي الرؤية التي يريد القاص أن يبلورها في قصته ، لذلك نراه يدلل على إمكانية هذا التعايش باختيار يعتمد العلاقة الإنسانية التي نشأت بين عامل فلسطيني يعمل في شركة إسرائيلية 0 ومهندس يهودي مسئول ، وقد ساعد التواصل على تطور تلك العلاقة حتى وصلت حد التزاور بين عائلتين : عائلة فلسطينية تقطن في مخيم الشاطئ ، وأخرى يهودية تقطن في تل أبيب ، ثم وضع القاص هذه العلاقة على محك الاختبار ، حيث عمت الانتفاضة أرجاء الوطن المحتل ، وأخذ كل موقعه، فنرى الصديق اليهودي جندياً يحاول قمع الانتفاضة ، كما نرى العربي ثائراً يواجه قوات الاحتلال ومن بين أفرادها ذلك الصديق . ورغم قوة الأواصر وعمق العلاقة إلا أن المواجهة كانت حتمية .. ولكن رؤية القاص الخاصة وتوقعاته السياسية تحول دون سير الأحداث في مجراها ، وتعمل على إظهار الجانب الإنساني المفقود في شخصية جندي الاحتلال، ذلك الجندي الذي كادت أن تجذبه سادية اليهود لولا عملية الحجامة التي عملها له صديقه العربي ، حيث قذف صديقه الحميم بالحجر، لتسيل من جبهته الدماء وتعود إليه إنسانيته التي كادت أن تموت في أول اختبار حقيقي "أن تقف أمام الموت وجهاً لوجه .. أن تختار بين موتين ، تقتل أو ترى ابنك يقتـل .. لكني قذفت الحجر بكل خوفي على ولدي .. استقر الحجر في جبهته ، جحظ ، حط بصره علي ، استوعبني تماماً ... ولماذا لم يتحول إلى وحش كما يفعل الجنود ؟ تكة على الزناد يمسح المكان رصاصاً وموتاً وقتلى ومجزرة في غمضة عين ، لكنه لم يفعل ، الذي أعيه أنني عالجته بالحجر ، وفر حسام وهرول الجنود ، وتفرق الأطفال واحتدمت حالات المخيم .."([[26]](#footnote-26))، وما إحجام ديفد عن إطلاق النار على أطفال مخيم الشاطئ ، بعد إقدام محمود على شج رأس ديفد ، لينقذ ابنه من موت محقق إلا دليل - من وجهة نظر القاص - على إمكانية التعايش السلمي ، هذا ما يؤكده ذهاب محمود الذي اصطحب زوجه هيفاء وابنهما حسام لزيارة ديفد وعائلته ، ورأينا ديفد لم يتحول عن تعاطفه مع الفلسطينيين . وهنا لابد من التنبيه على أن القاص قد سبق القرار السياسي بسنوات في طرحه لقضية التعايش السلمي بين الفلسطينيين واليهود ، وكذلك تنبأ بالمخاطر التي قد تنجم عن هذه القضيـة ، ذلك ما يثبته سلوك الابن حسام الذي مثـل جيل الانتفاضة بكل سماته النضالية ورواسبه العدائية ، الذي لا يساوم على حقوقه المشروعة ، حيث رأيناه في تلك الزيارة الودية يرقب الجنود من نافذة بيت ديفد ويفكر في سلاحه - نقافته - ، كذلك ألمح القاص بطريقة بارعة إلى الثمن الذي قد يدفعه الفلسطينيون في سبيل الوصول إلى هذا التعايش، فالثوب المجدلاوي الذي أهدته هيفاء زوج محمود لإستر زوج ديفد ودلالته التراثية ، والقدر - الذي حفظ كنوز العائلة وتراثها - الذي أهداه والد محمود لديفد ودلالته الرمزية من الشواهد على ذلك ..([[27]](#footnote-27)) .

**ـ رصد الفعل النضالي :**

يتتبع القاص حالات من الصراع اليومي مع الاحتلال قبل الانتفاضة وذلك من خلال رصد الفعل النضالي وأثره على المجتمع المحلي ، ويقدم أمثلة على ظلم المحتل وبطشه ، ففي قصة "المدينة والليل"([[28]](#footnote-28)) يعكس ردود فعل شرائح منتقاة من المجتمع نحو الحكم على معين المنسي بالسجن المؤبد . وفي قصة "أبجدية الموت"([[29]](#footnote-29)) رصد القاص مشاركة أهالي المخيم والقرية في تشييع جثمان الشهيد راسم حـلاوة ، وبين دلالة ذلك وأثرها في استمرارية المد الثوري .

أما زمن الانتفاضة فقد قدم القاص بعض القصص التي ترتكز على أحداث واقعية تكاد تكون معروفة للكثير من الناس ، حتى ليخيل للقارئ أنه يسجل بعض يوميات الانتفاضة . ومع ذلك فقد وفق في الخروج من دائرة الفعل المباشر إلى الفعل الفني الذي يحسب لصالح القصة كفن ، كما يحاول القاص من خلال اختياره لأحداث قصصه التدليل على أن القصة ليست إعلاناً عن حدث ما في زمان ما ، وليس كل فعل يصلح لتشكيل مادة قصصية ، ولعل أحداث قصصه : حكاية بنت اسمها عبلة ، وتحذير ، وقوس قزح .. خير شاهد على ذلك .

**ـ حول العناصر الفنيـة :**

تدلل هذه المجموعة على براعة غريب عسقلاني في تخير أدواته الفنية ، وحسن توظيفها ، فاللغة - مثلاً - نجدها منتقاة لا يقل شأنها في قصصه عن الحدث أو الشخصية .. فهي تشكل عنده أحد عناصر البطولـة ، أو قد تبدو كأنها تنازع البطولة مكانتها ، هذا ما يلاحظ في قصته "الصبي والشمس الصغيرة"([[30]](#footnote-30)) ، وقصته "الدالية"([[31]](#footnote-31)) ، حيث يلجأ إلى الأسطورة حيناً والفنتازيا أحياناً .

كذلك يظهر غريب عسقلاني ولعاً خاصاً بالمونولوج الداخلي ، والاسترجاع الذهني ، والاقتراب أحياناً من حالة الحلم ، حيث يحمل المشهد اللامعقول أفكاراً معقولة ، ومع ذلك فإن مثل هذه القصص التي قد توهم البعض بأنها قصص رمزية سنجد أنها لا تنفصل عن الواقع ، بل إن سبب هذا الخلط هو تشابك اللغة بكثافتها الرمزية مع الحدث بإيحاءاته ودلالاته ..

أما الأسطورة في قصص غريب فغالباً ما نراها قد خرجت عن دلالتها التي ينبغي أن تستمد من مرجعيتها التاريخية أو التراثية ، حيث تتشكل بتجربة القاص ورؤيته الخاصة ، الأمر الذي يصعب معه اعتمادها كأسطورة لها دلالة محددة ، وفي ظني أن هذا النوع من الامتطاء المشروع للتراث الأسطوري يجعل النظر للأشياء محصوراً في الزاوية التي اختارها القاص ..

كذلك يلاحظ المتتبع لعنصر الزمن داخل قصص غريب ، تأثره بفن السينما ، حيث بدت مقدرته على اجتياز زمن القص ، واللجوء إلى التنقل من زاوية لأخرى عبر أزمان قد تكون متقاطعة أو ممتدة بين الماضي والحاضر ، لالتقاط جزئيات معينة تساعد في تكامل المشهد العام المراد توصيله ، لذا يلجأ في أغلب الأحيان إلى المقاطع رغم ما يحمله ذلك من خطورة الوقوع في فجوات غير مبررة تضعف القصة في صورتها النهائية .

##### **وقـفـة مـع قـصـة**

الخـفـــــاش([[32]](#footnote-32))

**للقاص عبد الله تايه**

ينتمي عبد الله تايه إلى جيل رواد كتابة القصة القصيرة في غـزة ، حيث شهدت حقبة السبعينيات الأولى الميلاد الحقيقي لفن القصة القصيرة في قطاع غزة ، وكان من ألمع كتابها الذين تجشموا صعاب تلك المرحلة مجموعة من الشباب المثقف أمثال : حمدي الكحلوت ، وإبراهيم الزنط الذي لقب نفسه باسم غريب عسقلاني ، وزكي العيلة ، وعبد الله تايه ، وصبحي حمدان ، ومحمد أيوب ، وعمر حمش ، وعثمان خالد ..

وكان عبد الله تايه - كباقي قرنائه – يجد في الصحافة المحلية متنفساً ، حيث عرف كقاص من خلال الصفحات الأدبية في الصحف والمجلات الفلسطينية ، واقترن اسمه آنذاك بفن القصة القصيرة ، إذ نشرت قصصه تباعاً منذ سنة 1974 حتى نهاية سنة 1978م ، ثم أصدر مجموعته القصصية الأولى "من يدق الباب" سنة 1979م ، ثم توالت إصداراته ، حيث أصدر رواية "الذين يبحثون عن الشمس" ثم "التين الشوكي ينضج قريباً" ثم "العربة والليل" ، وفي سنة 1991 أصدر مجموعته القصصية "الدوائر برتقالية" ..

**الخفـاش :** قصة قصيرة تحمل الكثير من سمات أدب عبد الله تايه القصصي ، فهي تمثل منهجه في تجنب المباشرة والتكلف في معالجة قضايا المجتمع ، كما أنها تمثل طريقته في اختيار نماذجه الإنسانية ، والشرائح التي يجيد استبطان أحاسيسها وتحليل مشاعرها ، ومشاركتها همومها ، والتعبير عنها ، كما أنها تمثل نهج القاص في اختيار بيئة قصصه وموروثها الذي يشكل أنموذجه البشري الذي يتحرك عبر زمانها ومكانها ، وتظهر أثر العوامل والقوى التي تحيط بذلك الأنموذج ، وتؤثر في تصرفاته ، وتوجهها وجهات معينة ..

تمثل شخصية الخفاش الواقع المقهور الذي تعيشه شريحة من شرائح المجتمع الفلسطيني ، حيث نرى نماذجها في القرى والمخيمات دون أن نكترث بمعرفة حقيقة همومها ومعاناتها ، ورغم تحفظي على تسمية الشخصية الأنموذج بالخفاش ؛ لما أحدثته هذه التسمية من تناقض بين ما أراده القاص من التعبير عن الشخصية اللاشعورية أو اللاإرادية لبطله ، تلك الشخصية التي تثير ظروف حياتها وتصرفاتها المرضية عاطفة الحزن والشفقة ، وتؤلب المشاعر ضد المحتل الذي يمثل القوى والظروف التي أنتجت هذه الشخصية ، وبين دلالتها المجازية التي شاعت في الاستخدام اليومي للتعبير عن الأفعال الخسيسة التي يدبرها البعض تحت جنح الظلام ، حيث تشبه صاحب الأفعال الخسيسة بالخفاش الذي لا يجيد التحرك في وضح النهار ، كما تصف أفعاله الخسيسة بأنها دبرت بليل ، وهذا الذي لا يسعى إليه القاص ، ولا تتطرق له القصة ، كذلك ما نراه من تناقض بين واقع الخفاش وخفاش القصة الإنسان ، فطائر الخفاش سمي بذلك لضعف إبصاره في النهار ، وقوته في الليل ، أما خفاشنا كما بدا في القصة فلم يبصر جسده العاري في الظلام "تطلع في المرآة أمامه ، بُهت ، هرب الّدم من وجهه ، كيف انسكب الدهان فوق جسدي ؟ متى خرجت من ملابسي ؟ هل .. هل ..؟ ، رأى جسمه أمام المرآة ملوثاً بالدهان الأسود ، تفحص جسده الملوث .. لاحظ أنه لم يكن يرتدي شيئاً سوى الحذاء عند خروجه .."([[33]](#footnote-33)) ، فطائر الخفاش لا يرى إلا في الظلام، وخفاش القصة لم يبصر جسده في الظلام ..

ورغم هذه التناقضات التي لم ينتبه إليها القاص إلا أنني أشيد ببراعته في تجنب المباشرة في معالجة موضوعات قصصه بصفة عامة ، وهذه القصة على وجه الخصوص، وانصرافه عن تناول الشخصيات الظاهرية أو الواعية إلى الشخصيات اللاشعورية أو اللاإرادية ، التي تعد أكثر إثارة ومناسبة للإبداع القصصي ، كما أنها تدلل على مقدرة القاص على الكشف عن أبعاد الشخصية ، والعوامل المؤثرة في تكوينها ..

كذلك لابد من التنبيه على تمكن القاص من تجنب المباشرة في إظهار أثر الاحتلال على الإنسان الفلسطيني ، حيث تجلى ذلك في ثنايا القصة دون أن يذكره صراحة ، فالقصة ليست ذات محتوى واقعي سياسي ، ومع ذلك فهي بأحداثها أثر من آثار هذا الواقع ، واقع الفقر والحرمان والأمراض النفسية التي تسبب فيها الاحتلال ..

أما عنصر الضوء فقد أفلح القاص في استثماره لإنتاج الدلالة التي يريدها ، فالضوء عنصر فاعل في إظهار ثقة البطل – الخفاش – بنفسه ، ففي النور يرى نفسه كما يرى ظله وصورته في المرآة "استلقى على ظهره ، وأخذ يراقب ظله المتكوم إلى أسفل، تطلع إلى المرآة الشاحبة المكسورة عند حافتها ، ثمة شخص ثالث في الحجرة ، هو والظل وصورته داخل المرآة .. صرنا ثلاثة .. آه لو في الحجرة مرآة أخرى ، لصرت أربعة ، خمسة ، ستة ، لماذا يقولون أني واحد ؟"([[34]](#footnote-34)) ، أما في الظلام فهو وحيد لا يشعر بوجوده إلا من خلال الإحساس بالألم ، أي أن الألم أيضاً عنصر فاعل في تعريف البطل بنفسه، أو فلنقل في إنتاج الدلالة "أنا لي ثلاث صور .. ويجب أن يكون لي ثلاثة أسماء ، اتجه بظله نحو المشجب ، تناول فوطة .. طارت الذبابة والطنين لا يزال .. وقفت فوق لمبة النور ، حاول أن يبعدها فلم يفلح ، استفزته ، رفع الفوطة وضرب اللمبة بقوة فتحطمت ، وساد الظلام ، تلفت نحو المرآة فلم يشاهدها ، أين المرآة ؟ أين ظلي ؟ أين أنا ؟ أدخل يديه في جيبي بنطاله وقرص نفسه ، فتأوه .. لا زلت موجوداً ، على دائرة إحصاء السكان أن تتوقف عن تسجيل اسميّ الآخرين حتى أعثر على صورتي وظلي.."([[35]](#footnote-35)).

كذلك لا تخلو القصة من نقد بعض الآفات الاجتماعية كالمحسوبية والسرقة والزنا، إضافة إلى تصوير بعض مشاهد الواقع ، حيث الفقر والنتن والفئران ، والصراخ وهمجية الناس ، والإشاعات التي تنتشر في البيئات الشعبية .. "روائح عفنة تتخلل طاقتي أنفه ، وتخترق جمجمته .. هذه رائحة فطيسة ، ربما تكون لقط مقتول لأنه سرق فخذ دجاجة من الجيران ، وأفخاذ الجيران تسرق كل ليلة ، ولا أرى على المزابل جثة أي منهم.. صالح ، محمود ، سعيد ، كلهم .. كلهم قالوا لي إنهم يسرقون..".

القاص محمد نصار

فـي صحبـة الشيـطان ..([[36]](#footnote-36))

صحبة قصدية مع سبق الإصرار والترصد

**كلمات في البـدء :**

أعترف أنني اطلعت على معظم ما كتب الأخ محمد نصار في الماضي ([[37]](#footnote-37)) ، وحاولت جاهداً أن أحث القلم على الكتابة ، ولكن كانت للقلم بعض مبرراته في التمرد ، ثم صدرت مجموعته الموسومة باسم "في صحبة الشيطان" ؛ فوجدت قلمي يبشر بها – كعادته في الكتابة عن بعض الأعمال التي تصدر في فلسطين ([[38]](#footnote-38)) - بتنويه عنوانه "صدر حديثاً"، وقد انطوى ذلك التبشير على بعض العبارات النقدية التي تومئ إلى موقع هذه المجموعة بين الأعمال الأدبية التي صدرت بعد اتفاقية أوسلو ، وأشرت إلى المحمول الدلالي لقصص هذه المجموعة ، وما هي معالم هذا المحمول بعد التحولات التي فرضها اتفاق أوسلو ، خاصة أنني كنت قد تحدثت بعد اتفاق أوسلو في أكثر من ندوة ومقالة عن إشكالية الكتابة في المرحلة الجديدة ، وتساءلت عن مدى توافق الأدباء مع متطلبات المرحلة ، ومقدرتهم على استيعاب تحولاتها ، خاصة أن العديد منهم اكتسب شهرته من خلال ارتباط المحمول الدلالي بالحدث النضالي ، الذي امتد منذ النكبة حتى أوسلو .

وقد أظهرت إشفاقي على بعض الأدباء الذين تعلقوا بأهداب الفعل النضالي ، رصداً وتصويراً ، حتى تحولت قصائدهم وقصصهم إلى تقارير إخبارية ، وعبارات خطابية، تستمد ذيوعها من زخم الحدث والتفاعل الجماهيري معه ، ماذا سيكتب هؤلاء بعد أن تحولت وجهة الحدث النضالي ؟([[39]](#footnote-39)) .

لذلك رأيت أن أتحدث عن المحمول الدلالي لهذه المجموعة القصصية ، التي يسترعي عنوانها – في صحبة الشيطان – الانتباه ، وأظن أن الكاتب قد وفق في اختيار العنوان ، لكونه ملفتاً للأنظار أولاً ، ثم لأنه جاء مباشراً في التعبير عن المحمولات الدلالية لقصص المجموعـة ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الإهداء ، الذي يبدو مستفزاً ومباشراً ، حيث يقول فيه : "الإهداء إلى .. عذراً لم أجده ، ربما تاه في الزحام"([[40]](#footnote-40))، فهو يستفز وعي القارئ ؛ رغم تماهيه مع عنوان المجموعة، ويثير سؤالاً في غاية الأهمية ، لماذا لم يجد الكاتب من يستحق أن تهدى إليه المجموعة ؟ هل تغيرت صفات الإنسان الفلسطيني في هذه المرحلة حتى ضل الطريق ، وتاه في زحمة الحياة ؟

هذه الأمور وغيرها تحفز القارئ ، وتثير فضوله لمعرفة أسباب خروج محمد نصار عن المألوف ، ليصل إلى ما يعتمل في نفسه تجاه الراهن الفلسطيني المعيش ، فيقرأ القصص ، ويخرج بقناعة أن الإنسان يعيش أزمة نفسية ، وأنه عاجز عن التوافق مع الواقع ، لذلك لم ير في ذلك الواقع سوى الموبقات ، إنه يسير بطريقة واعية خلف الشيطان في حالة تقع بين اليقظة والنوم ، ثم يدير جميع الأحداث بقصدية لا تخفيها بعض الرموز التي حاول جاهداً صنعها ، والاستتار خلفها لتوصيل المضامين المنشودة ، حيث كانت رموزه شفافة ، توهم بسذاجة القاص .. ولكنها في الحقيقة تعبر عن رغبة قوية في تعرية الواقع - كما هو حال الواقعية الانتقادية – واستخراج ما في نفوس المطحونين ، الذين حلموا بمستقبل أفضل وأداء أجود في ظل السلطة الوطنية . ومع ذلك فقد تجنى القاص على الجوانب المشرقة في الواقع المعيش ، حيث وضع القاص النظارة السوداء على عينيه قبل أن يقدم على مشروعه الكتابي ، ثم كانت مملكة الشيطان عنوانه ووجهته، فرأينا زوجة لوط عليه السلام وما ترمز إليه في الواقع المعيش ، وكذلك السامري وعبدة العجل ، وغير ذلك من الرموز ذات الدلالات الجلية ..

**أما بعـد :**

فبطلنا بطل جائع مهزوم من داخله ، يتحاشى مجابهة زوجته يدلف إلى غرفة نومه على غفلة منها ، يهرِّب نفسه عبر قصة - ألف ليلة وليلة - مليئة بمبررات وأسباب مجاعته وكآبته ، يحيل اللوم على كل الدنيا ؛ حتى على معلمه الشيخ وجاره في السجن وأناس يعرفهم وآخرون لا يعرفهم ، يعيد لنا حكاية ألف ليلة وليلة ، ويجعل نفسه من خلال تلك الحلقة القصة رجلاً سوبرماني الحركة ، وضميراً حياً ، وعيناً ناقدةً لما يحدث لأبناء جلدته من معاناة . والذي يحيل المسببات على الكل إنسان لا يساوي الجزء .. ودخوله لمملكة الشيطان لم يكن رغماً عنه ، بل كان عن طيب خاطر ، رغم مبررات الخوف والرعب ، ورغم الكراسي والأثاث الذي يتحرك في الغرفة حتى وصل سقفها .. ودليلي على ذلك ما جاء على لسانه : "وقبل أن يغيب داخل الكتاب أومأ إليّ بإشارة مريبة كأنه يخشى عليّ اتباعه ، فتملكني الرعب من جديد ، وقبل أن أفيق من دهشتي شعرت بقوة خارقة تدفعني إلى عالم غريب ..([[41]](#footnote-41))" ، وكأن الأمر كان نتيجة لمطلب منه ، ولكن الدخان أو الجني قد خشي عليه فأومأ له بعدم اللحاق به ، وهنا يبرز السؤال التالي : لماذا أصر على اللحاق به ؟ وكيف تنسجم الخشية مع الرعب ، وما القوة الدافعة التي دفعته خلف الدخان الذي دخل الكتاب إلا دليل على الهروب من الواقع ، وعدم القدرة على مواجهة مبررات الأحداث وتتبع العورات - قصدية مبيتة - .

وبرغم الدهاليز الضيقة والعفنة والمظلمة إلا أن صاحبنا وما أن وصل إلى الواحة - جنة الله في أرضه - حتى شعر بالأمان ، وتمنى لو تركه مرافقه وانصرف ، وهذه هي الرغبة الأصدق حيث الفرحة لم تدم ، ولو أنها دامت لما برح مكانه ، ولا شاهد ما شاهد ، فالمشاهدة هنا قسريـة .. وما جمع المتناقضات في قصر واحد - قصر الشيطان - إلا تناقض أصر الكاتب على إحداثه ؛ فجمع العظماء ، السادة مع العبيد : زوجة لوط ، السامري ، الخمر ، والجار السجين ، والوجوه المألوفة له وغير المألوفة .. حتى القاعات التي تمثل العصور والعهود المختلفة كانت قصدية أيضاً ، وإلا كيف عرف أن هذه القاعات متخصصة ؛ ولماذا لم يترك القاعات تتحدث عن نفسها وعن تاريخها ، وكيف أيقن أن الرجل الهائج كما الثور المواقع للنسوة لن يصله ، وما مبرر عدم الوصول إليه؟ ولماذا كانت المراوغة والاستفزاز ما دام الرجل الثور مستفز من قبل لولا القصدية التي أرادها كاتبنا كي يجعله منهاراً باكياً ، وكاتبنا أو بطلنا سبب هذا الانهيار الذي لم يخبرنا عن سبب آخر سواه ، أهو بفعل الخمر أم بفعل الندم ، ولماذا كانت الفطنة عند بطلنا المندهش المأخوذ عندما قـال: "إلا الكفر أو الإشراك بالله .."([[42]](#footnote-42)) !

وكأنه يفعل ما دون ذلك لأنه يُغفر له ، وهذا يدلل على أن بطلنا قد يرتكب كل المعاصي، بل يبررها ما دامت تمحي ، ولماذا النشوة في قوله : "عندها تركت المكان تغمرني نشوة "([[43]](#footnote-43)) إلا أن الرجل قد خارت قوته إما بسبب المراوغة ، أو لأن ساحة النسوة تركت دونما ثور ، ومن ثم خلت له الساحة التي يتمنى ، والنشوة هنا لا تفيد ما يقصده الكاتب أكثر مما تدلل على رغبة ما في نفس يعقوب .

كان يود البطل أن يقيّم الأمر الذي طرح عليه من صاحب المملكة ، إلا أن زوجته قد أيقظته ، ولو ذهب خيالي إلى ما بعد إيقاظ البطل على أرض الواقع ، لسمعته يقذفها بأعنف الألفاظ ، لأنها سلبته الحلم الذي يتمنى ، ولأنه بدأ يفكر بعقله الظاهر قبل الذهاب لمملكة الشيطان بأنه سيدخلها ، وما التعميم الجماعي إلا رخصة قد منحها بطلنا لنفسه وإن كانت هذه الرخصة عبر الحلم .

أما الرمز في القصة فهو بسيط وواضح ولا يحتاج إلى فذلكة من أجل فهم أبعاده ، فالسامري يمثل العدو من جانب ، والعميل من جانب آخر ، وزوجة لوط تدلل على انتشار الرذيلة في المجتمع ، والرجل الثور يمثل إحدى شخصيات المجتمع القيادية ..

أما النظرة العامة - الجو السائد - فهي سوداوية معتمة ، والأسلوب بسيط وسلس ولكن الواوات قد عبثت به كثيراً ، فأوصلته إلى حد الركاكة أحياناً ، ومن هذه الواوات : وقد أعياني .. ولا يكف .. ولا أدري .. وننجر .. ولكن بلا جدوى .. وجمدت الدماء ..

بقي أن نقول إن "في صحبة الشيطان" قصة مكتملة الأركان تمتاز بالنضج الفني وكثافة الدلالة ..

وقـفـة مع :

العنــوان ودلالاتــه

### في أدب السبعاوي

تولي المدرسة الأسلوبية عنوانات الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية أهمية بالغة ، وتجعلها من أبرز مفاتيح الدلالة ، لأن الأديب يصب فيه كل ما في عمله من تيارات دلالية وطاقات إيحائية .

وتنظر إلى الرموز والدوال التي يثيرها العنوان باهتمام شديد ، فهي في المقام الأول توحي بما يصطرع في ذهن الأديب من أفكار وفي وجدانه من أحاسيس ومشاعر ، وهي بعد ذلك تحفز وعي المتلقي وتستثير خبرته وثقافته ليكتشف التيارات الدلالية والطاقات الإيحائية التي تبشر بجوانب الإبداع المضموني .

وتقديراً منا لأهمية العنوان في الأعمال الأدبية عامة ، وأعمال عبد الكريم السبعاوي على وجه الخصوص ، نحاول أن نقصر هذه العجالة على ما تبوح به عنوانات رواياته ودواوينه الشعرية من مضامين التجربة وأجوائها النفسية .

**أرض كنعـان :**

أرض كنعان هو عنوان ثلاثية السبعاوي الروائية ، وهو عنوان يبعث الماضي السحيق الذي سبق الأزمان ، ليدلل على ما يعتمل في عقل ووجدان السبعاوي من أفكار ومشاعر ، حول حق الفلسطينيين الأزلي ومعاناتهم في الدفاع عن ذلك الحق ، الذي ما زالت تطمع فيه الأمم والشعوب منذ فجر التاريخ .

وهو عنوان يستفز وعي المتلقي وثقافته ، ليسترجع الحقب التاريخية والأحداث المتعاقبة التي شهدتها المنطقة الساحلية ؛ التي تقع بين مصب نهر العاصي شمالاً والعريش جنوباً - أرض كنعان - .

وقد ارتبط بهذا العنوان ثلاثة عنوانات ارتباطاً دلالياً استمد من سحر الموروث وشائجه القوية ، **فالعنقاء** - عنوان الرواية الأولى([[44]](#footnote-44))- يرتبط بالدهاء ، كما يرتبط بالأحداث الغريبة التي لا تقع إلا في تعاقب الدهور ، و**الخل الوفي** - عنوان الرواية الثانية([[45]](#footnote-45)) - يرتبط بالأصالة التي لم تفسدها تعقيدات الحياة وتضخم الأنا في السعي خلف مصالحها الخاصة ، و**الغول([[46]](#footnote-46))** - عنوان الرواية الثالثة - يرتبط بالمعتقدات القديمة عن الشياطين والجن ومكرهم بالإنسان ..

كما ترتبط العنوانات الثلاثة بوشائج الرموز والدلالات المتداخلة عبر الأزمان العربية لتجسد واقع أرض كنعان ، منذ أن تجسدت "العنقاء" في العقل العربي القديم طائراً عظيماً يُرى فوق بعض القمم العالية ، أو عند مغرب الشمس .. حتى أصبحت في التراث الإنساني طائراً خرافياً أو أسطورياً ، يشير في بعض دلالاته إلى المستحيل كما يشير إلى التجدد والانبعاث ، وكذلك "الخلّ الوفي" منذ أن كانت له في وجدان العربي القديم صفات معلومة ، وشواهد واقعية ، حتى أصبح يلتقي مع العنقاء في الدلالة على الاستحالة في الواقع الإنساني المعيش ، وكذلك "الغول" الذي اعتقد العربي وجوده منذ فجر التاريخ حتى تحول في الفكر الإسلامي والإنساني إلى رمز يدل على التحول وتغير الهيئة ، ويدل على الفتك بالإنسان ، أو كل ما يستطيع أن يخدع الإنسان ويغتاله سواء أكان شيطاناً أم إنساناً. إنها ثلاثية المستحيلات في المفهوم الإنساني الراهن التي تعالج حياة الفلسطيني في بيئة الروايات الزمانية والمكانية وما شهدته من أحـداث ، وما سادها من موروث إنساني وقيم ومفاهيم وعادات وتقاليد ومعتقدات ...

**متي تُرك القطـا :**

وكذلك الحال بالنسبة لعنوانات معظم قصائده وبعض دواوينه الشعرية ، فديوان "متى تُرك القطا"([[47]](#footnote-47)) مثلاً يتماهى عنوانه مع عنوانات ثلاثية " أرض كنعان " ، كما يتماهى مع الراهن الفلسطيني المعيش .

فهو عنوان يعكس ما يصطرع في عقل ووجدان السبعاوي من أفكار ومشاعر إزاء الواقع السياسي الفلسطيني ، وهو يبعث في وعي المتلقي ووجدانه المثل العربي القديم : "لو تُرك القطا لنام" ، فيثير سحابة من الأفكار والأحاسيس حول القطا الفلسطيني الذي لم ينعم بالراحة أو الطمأنينة فيخلد للنوم يوماً ، ويبعث تاريخ فلسطين الحربي ، وهجمات الطامعين المتعاقبة ، ونضال الشعب الفلسطيني الذي لم يعرف الهدوء والأمان يوماً .

وتتشابك عنوانات القصائد التي يشتمل عليها الديوان مع عنوانه الرئيس لتثير غابة من الرموز الأسطورية والتاريخية والأدبية والشعبية ذات الدلالات والمضامين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. ولو استعرضنا دلالة عنوانات بعض القصائد بإيجاز يتناسب وطبيعة هذا المقال سنجد :

**1 - النداهـة** ([[48]](#footnote-48)): يشير هذا العنوان إلى أسطورة فلسطينية غزية ترتبط بعض دلالالتها بحلم الفلسطيني بالحياة الرغدة ، فالنداهة هي جنية شريرة تسكن النهر ، وتتشكل في مظهر عروس تغوي بجمالها وزينتها ضحاياها باتباعها ثم تغرقهم ، وقد اعتقد أهل حي التفاح في غزة بوجودها في بئر قديم يسمى بئر عبيا ، وزعموا أنها أغوت العديد من الشبان ، وقد استثمر الشاعر دلالات هذا العنوان في الكشف عن أسباب غربة الشباب الباحثين عن الحياة الكريمة ؛ ثم في التحذير من نتائج هذه الغربة ..

**2 - من يوميات البحـر ([[49]](#footnote-49)):** للبحر في الأدب العربي العديد من الدلالات التي من بينها الإشارة إلى المجهول ، وهذه الدلالة تتماهى مع دلالة عنوان الديوان ودلالة العنوان السابق " النداهة " ، حيث يثير تداعيات الغربة التي تسرق الفلسطيني ، وتحول بينه وبين تحقيق أحلامه الوطنية الكبيرة ..

**3 - من أوراق عبد الرحمن الخارج ([[50]](#footnote-50)):** يبعث هذا العنوان قصة من قصص البطولة العربية ؛ قصة عبد الرحمن الداخل الذي شيد الدولة الأموية في الأندلس ، ويتقاطع معها في الدلالة الناتجة عن تقابل الخارج مع الداخل ليدلل على عجز الإنسان الفرد في مواجهة مصيره المحتوم ، كما يخيل رحلة الشاعر الحياتية في مواجهة هذا المصير ، وتمسكه بعروبته وتراثه ووطنه الذي حمله الشاعر بين جوانحه في رحلة خروجه القسرية من الوطن ..

**4 - ليلى والذئب ([[51]](#footnote-51)):** يبعث هذا العنوان الحكاية الشعبية التي ترينا كيف تمكن الذئب من جدة ليلى ، وأهلكها ثم ارتدى ملابسها ليخدع ليلى ويقودها لنفس المصير ، ودلالتها تشرح ما فعله المحتل الإسرائيلي "الذئب" الذي التهم الأرض الفلسطينية ، وغير ملامح وأسماء القرى والبلدان .. إلى غير ذلك من الرموز والدلالات التي تثيرها عنوانات هذه القصائد ، وباقي العنوانات التي يشتمل عليها الديوان مثل : "العودة من وادي الغضا " و"ماجد أبو شرار يعود إلى دورا" و"مواسم الهجرة إلى الوطن" و"أديروا على المخيم كأسي" و"عيون المها" .. التي تحتاج إلى دراسة متأنية .

**المصادر والمراجع**

|  |
| --- |
| - إبراهيم الزنط ، جفاف الحلق ومرارة اللسان ، منشورات المركز الثقافي الفلسطيني ، "بيت الشعر" ، الطبعة الأولى ، رام الله 2000م .  ـ إبراهيم العلم ، فدوى طوقان ، الطبعة الأولى ـ القدس 1992م . |
| - إبراهيم طوقان ، ديوان إبراهيم طوقان ، الطبعة الأولى ، دار الشرق الجديد ، بيروت 1955م . |
| - أبو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطاب) ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البجاوي ، طبعة بيروت ، (د.ت). |
| - أبو شامة ( شهاب الدين محمد ) ، الروضتين في أخبار الدولتين ، طبعة دار الجيل ، بيروت . |
| - أحمد زكي باشا : الترقيم وعلاماته في العربية ، الطبعة الثانية ، بيروت 1987م . |
| - أحمد شوقي ، الشوقيات ، دار الكتاب العربي . بيروت ، (د.ت) . |
| - أحمد كمال زكي: - الأساطير، الطبعة الأولى ، القاهرة 1975م . |
| - النقد الأدبي الحديث ، القاهرة ، 1981م . |
| - أدونيس ، زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، 1972م . |
| - أميرة حلمي مطر ، مقدمة في علم الجمال ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د.ت) . |
| - أنس داود ، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، طبعة القاهرة (د.ت). |
| - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، 1956م . |
| - ابن طباطبا ، عيار الشعر ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1982م . |
| - ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثالثة، القاهرة ، 1977م . |
| - ابن كثير ، البداية والنهاية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، لبنان 1977م . |
| - ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون ، طبعة دار المعارف، القاهرة . |
| - البدوي الملثم ، الغواني في شعر إبراهيم طوقان ، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت 1957م. |
| - الجاحظ : - البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي ، القاهرة . |
| - الحيوان ، القاهرة ، 1323هـ . |
| - الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان محمد طه ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1987م . |
| - الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف . بيروت 1983 . |
| - الطاهر مكي ، القصة القصيرة - دراسة ومختارات ، ط 1 ، دار المعارف، مصر ، 1977م . |
| - المتنبي ، ديوان المتنبي ، تحقيق عبد المنعم خفاجي وآخرون ، مكتبة مصر، القاهرة 1994م . |
| ـ المتوكل طه ، الساخر والجسد ـ إبراهيم طوقان ـ ، ط2 ، نابلس1994م . |
| - المرعشلي "وزملاؤه"، الموسوعة الفلسطينية ، الطبعة الثالثة ، دار الأسوار، عكا 1986. |
| - امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف. القاهرة . |
| - برنار فاليط ، النص الروائي – تقنيات ومناهج ، ترجمة رشيد بنجدو ، منشورات ناثان، باريس 1992 . |
| - توفيق كنعان ، الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين ، ترجمة نمر سرحان ، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية ، رام الله 1998 . |
| - جميل بثينة ، ديوان جميل بثينة ، دار بيروت للطباعة والنشر 1966م . |
| - حسين سعيد "وزملاؤه" ، الموسوعة الثقافية ، طبعة دار الشعب ، القاهرة 1972 . |
| - خليفة التليسي ، الشابي وجبران ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت 1974م . |
| - خليل إبراهيم حسونة ، رواية الأشياء ، طبعة دمشق ، 1992م . |
| - رشاد رشدي ، فن القصة القصيرة ، الطبعة الثالثة ، الأنجلو المصرية 1970م . |
| - رولان بارت : درس في السيميولوجيا ، ترجمة عبد السلام بنعبد ، الطبعة الثانية ، الدار البيضاء 1986. |
| - زكي العيلة : - العطش ، طبعة دار الكاتب ، 1978م. |
| - الجبل لا يأتي ، طبعة دار الكاتب ، القدس 1980 . |
| - حيطان من دم ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1990 . |
| - زمن الغياب ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1998. |
| ـ زكي المحاسني ، طوقان شاعر فلسطين في حياته وشعره ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1955. |
| - زينب بنت يوسف فواز العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت 1312 هـ . |
| - سامي الكيلاني ، قبل الأرض واستراح ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1990. |
| - سعيد دعيبس ، حوار مع الشعر الحر، ط 1، القاهرة ، 1971 . |
| - سعيد يقطين ، الخطاب الروائي ، الطبعة الثالثة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1997. |
| - سليم الزعنون : - "يا أمة القدس" ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات ، عمان 1995 . |
| - "وهكذا.. نطق الحجر" ، الطبعة الأولى ، عمان ، 2001م . |
| - سميح القاسم ، حياتي وقضيتي وشعري ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت 1970. |
| - صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، طبعة دار العودة ، بيروت 1988 . |
| - عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار المنارة ، السعودية 1985 . |
| - عبد الحميد طقش ، بدأت الحدوته ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1989. |
| - عبد الرحمن المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين ، مطبعة وادي النيل ، مصر1287هـ |
| - عبد الرحمن رباح الكيالي ، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لطبعة الأولى ، بيروت 1975م. |
| - عبد الرحمن ياغي ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، الطبعة الثامنة ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1981م . |
| - عبد الرحيم محمود ، ديوان عبد الرحيم محمود ، طبعة دار العودة ، بيروت 1987م. |
| - عبد الرضا علي ، الأسطورة في شعر السياب ، طبعة بغداد1978 . |
| - عبد الفتاح الحجمري ، عتبات النص – البنية والدلالة ، الطبعة الأولى ، منشورات الرابطـة ، الدار البيضاء 1996م . |
| - عبد الكريم السبعاوي : - ديوان متى تُرك القطا ، الطبعة الأولى ، دار النورس ، غزة 1996. |
| - رواية الخل الوفي ، طبعة دار النورس للنشر ، غزة 1997م |
| - رواية العنقاء ، طبعة دار سبيل للنشر ، أستراليا 1989م . |
| - رواية الغول ، طبعة دار النورس للنشر ، غزة 1999م . |
| - عبد الكريم الكرمي "أبو سلمى" ، ديوان أبي سلمى ، طبعة دار العودة ، بيروت 1989م . |
| - عبد الله تايه ، من يدق الباب ، وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر ، القدس 1977م. |
| - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، العدد 240. |
| - عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة ، ط4، دار المعرف ، القاهرة 1983 |
| - عدنان خالد عبد الله ، النقد التطبيقي التحليلي ، الطبعة الأولى ، بغداد 1986 . |
| - عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ط 3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1978. |
| ـ عز الدين الأمين ، نظرية الفن المتجدد، ط2، دار المعارف بمصر1971م . |
| - على الجريري ، أبجدية فرج الحافي ، الطبعة الأولى ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1989م .  - علي حداد ، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1986. |
| - عمر أبو النصر ، تغريبة بني هلال ، طبعة المكتبة الثقافية ، بيروت 1981م. |
| - عمر حمش ، أزهار إلى مقبرة المخيم ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1990م |
| - عمر فروخ ، شاعران معاصران ، الطبعة الأولى ، المكتبة العلمية ، بيروت 1954م . |
| - عمران الياسيني ، النزيف رقم (2) ، الطبعة الأولى ، أريحا 1989م. |
| - غازي الخليلي ، المرأة الفلسطينية والثورة ، بيروت 1977م . |
| - غريب عسقلاني: - الخروج من الصمت ، منشورات البيادر ، القدس 1979م . |
| - الصبي والشمس الصغيرة ، ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1992م. |
| - غريم "الأخوان" ، حكايات الأخوين غريم ، ترجمة عبد الرحيم صالح الرحيم وآخر ، الطبعة الأولى ، دار ثقافة الأطفال ، العراق 1987م. |
| ـ فدوى طوقان ، الديوان ، الطبعة الأولى ، دار العودة بيروت 1978م. |
| - فراس السواح ، الأسطورة والمعنى ، الطبعة الأولى ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 1997م . |
| - فريدرش ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، طبعة دار نهضة مصر ، القاهرة 1965م . |
| - قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة 1979م . |
| - كامل السوافيري : - الأدب العربي المعاصر في فلسطين ، طبعة دار المعارف بمصر |
| ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، الطبعة الأولى ، الأنجلو المصرية ، 1973 . |
| - ليو تاكسل ، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ، ترجمة حسان إسحاق ، الطبعة الأولى ، الجندي للطباعة والنشر 1994م . |
| - مجدي وهبة ، معجم المصطلحات الأدبية ، طبعة مكتبة لبنان 1974م . |
| - محسن جاسم الموسوي ، الرواية العربية ، طبعة الهيئة المصرية 1988م . |
| - محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت 1985م . |
| - محمد شفيق غربال "وزملاؤه"، الموسوعة العربية الميسرة ، طبعة دار نهضة لبنان 1980م . |
| - محمد عبد المطلب : هكذا تكلم النص ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة 1997 . |
| - محمد كامل الخطيب ، السهم والدائرة ، دار الفارابي ، بيروت 1979م. |
| - محمد مفتاح : دينامية النص ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1990 . |
| ـ محمد مندور ، الأدب ومذاهبه ، الطبعة الأولى ، دار النهضة ، مصر . |
| - محمد نصار ، في صحبة الشيطان ، غزة 1997م. |
| - محمد يوسف نجم ، فن القصة ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت 1996م . |
| - محمود الغرباوي ، الفجر والقضبان ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1989م. |
| - محمود ذهني ، تذوق الأدب ، الطبعة الأولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة . |
| - محيي الدين الحاج عيسى ، ديوان من فلسطين وإليها ، الطبعة الأولى ، حلب 1975م. |
| - مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ببيروت ومكتبة المتنبي بالقاهرة ، 1977 . |
| - مطلق عبد الخالق ، ديوان الرحيل ، طبعة دار المستقبل العربي ، القاهرة (بدون تاريخ) .  ـ نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، ط5، دار العلم ، بيروت 1973م. |
| - نبيل الجولاني ، قصائد عن حب يتجدد ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1989م . |
| - نجلاء شهوان ، وطني نذرت لعينيك عمري ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين القدس ، 1989م. |
| - نزار قباني : - قصتي مع الشعر ، بيروت 1973م . |
| - تجربتي الشعرية ، دار العودة ، بيروت ، 1968م . |
| - هاشم صالح مناع ، القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، الكويت 1984م . |
| - يسري عرنيطة ، الفنون الشعبية في فلسطين ، ط3. وزارة الثقافة ، فلسطين 1998م. |

**الصحف والمجلات :**

|  |
| --- |
| - جريدة الشعب ، الصفحة الأدبية ، العدد 5798 (الأحد 24 /6/1990). |
| - جريدة الشعب ، الصفحة الأدبية (الأحد 17 حزيران1990) . |
| - مجلة بحوث الجامعة الإسلامية بغزة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، يناير1994 . |
| - مجلة الرأي ، مجلة شهرية تصدر عن مركز الرأي للإعلام والنشر ، غزة ، العدد 17 ، فبراير 1998. |
| - مجلة الساحل ، مجلة شهرية تصدر في غزة ، العدد الثاني ، وعدد يونيو 1995 .  - مجلة شؤون فلسطينية ، العدد السابع ، بيروت ، مارس 1972م. |
| - مجلة شؤون فلسطينية ، العدد الخامس ، بيروت ، نوفمبر1971م. |
| - مجلة الفجر الأدبي ، مجلة أدبية شهرية . القدس ، العدد 35 ، شهر آب 1983م . |
| - مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الرابع ، الهيئة المصرية العامة . |
| - مجلة فصول ، المجلد الثاني ، العدد الرابع ، القاهرة 1982م . |
|  |

الفهرس

|  |  |
| --- | --- |
| تصدير ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................ | 3 |

# الباب الأول : نقـد الشعر

الفصل الأول

المرأة في شعر إبراهيم طوقان

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  المرأة في عصر إبراهيم ................................................................................. .................................................................................... .............................  المرأة في شعر إبراهيم ................................................................................ .................................................................................... .............................  المرأة في شعره الوطني ................................................................................ .................................................................................... .............................  المرأة في شعره الغزلي ................................................................................ .................................................................................... ............................. | 7  12  24  27  29 |

الفصل الثاني

اللاشعر زمن الانتفاضة

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  تقديم ................................................................................. .................................................................................... .............. ............................. ........................... ............................. ............  تعريف اللاشعر ................................................................................ ............................................................................... ........................... ............................. ..........  عوامل ظهور اللاشعر ........................................................................................ .................................................................................... .............................  الانتفاضة واللاشعر ................................................................................ .................................................................................... .......................... .......................  موضوعات شعر الانتفاضة ........................................................................................ .................................................................................... ........  تدهور العلاقة بين الشكل والمضمون .............................................................................................................. ............................. | 45  47  50  53  62  66  72 |

الفصل الثالث

توظيف التراث في ديوان متى ترك القطا

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  تضمين الأسطورة ................................................................................. .................................................................................... .............. ............................. ..........  التضمين التاريخي والتاريخسطوري ............................................................................... ........................... ............................. ......  المضمون الديني ........................................................................................ .................................................................................... ........................................................  تضمين التراث الشعبي ................................................................................ .................................................................................... .......................... .........  تضمين التراث الأدبي ........................................................................................ .................................................................................... ................................ | 85  91  98  108  117  124 |

الفصل الرابع

شاعرية سليم الزعنون وخصائصها

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  جوانب شاعرية الزعنون ................................................................................. .................................................................................................... ..........  المناسبات الوطنية والمعاني السياسية ............................................................................... ........................... ............................. ...  الغربة والحنين للوطن ........................................................................................ .................................................................................... ..............................  الرثـاء ................................................................................ .................................................................................... .......................... ......... ................................... ............................  الغـزل ........................................................................................ .................................................................................... ................................ ................................... ........................  خصائص شاعرية الزعنون ................................................................................ .................................................................................... التضمين القرآني ................................................................................ .................................................................................... ..............................................................  تضمين الحديث النبوي ................................................................................ .................................................................................... ....................................  تضمين التراث التاريخي ................................................................................ .................................................................................... ............................  تضمين التراث الأدبي ................................................................................ .................................................................................... ........................................ | 132  137  138  144  147  150  156  159  161  163  167 |

# الباب الثاني : نقـد القصـة

الفصل الأول

البحــر والصيــاد

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  هجرة النورس الخريفية ................................................................................. .................................................................................................... .................  الفنـار ............................................................................... ........................... ............................. .....................................................................................................................................  السردين المـر ........................................................................................ .................................................................................... .............................................................  آخر حقائق غرق البحار سعيد ................................................................................ .................................................................................... .....  الشندر ........................................................................................ .................................................................................... ................................ ................................... ............................... | 175  178  181  185  191  199 |

الفصل الثاني

تقانات السرد القصصي في قصة زمن الغياب

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  مكونات السرد وسماتها ................................................................................. .................................................................................................... .................  البعد المكاني ............................................................................... ........................... ............................. ...........................................................................................................  الحدث وتدفق السرد ........................................................................................ .................................................................................... .........................................  شخصيات ودلالات ................................................................................ .................................................................................... .....................................................  اللغة ........................................................................................ .................................................................................... ................................ ................................... ........................................ | 207  209  214  220  226  230 |

الفصل الثالث

مشاهد النكبة في مرآة قصة جفاف الحـلق

|  |  |
| --- | --- |
| أما قبل ................................................................................ .................................................................................... ............................. ............................................................................  جفاف ينابيع الحياة ................................................................................. .................................................................................................... ......................................  الراوي وزمن السرد ............................................................................... ........................... ............................. ..........................................................................  شخصيات مركبة ........................................................................................ .................................................................................... ......................................................  الهم السياسي ................................................................................ .................................................................................... ................................................................................  الموروثات الشعبية ........................................................................................ .................................................................................... ................................ . تضمين التراث ................................................................................ .................................................................................... ....................................................................... | 237  239  240  241  244  249  253 |

الفصل الرابع

مقالات في نقد القصـة

|  |  |
| --- | --- |
| قصة مهرجان في سوق الباذنجان – دراسة تحليلية ................................................................................  قراءة نقدية لنص الأشياء ................................................................................. .................................................................................................... ..........  قضية التعايش مع اليهود في مجموعة الصبي والشمس الصغيرة ....................  وقفة مع قصة الخفاش ........................................................................................ .................................................................................... ...............................  في صحبة الشيطان – صحبة قصدية ................................................................................ ...........................................................  العنوان ودلالاته في أدب السبعاوي ........................................................................................ ............................................................  **المصادر والمراجع** ........................................................................................ .................................................................................... ......................................... | 258  269  280  286  291  298  304 |

1. • نشرت في الصفحة الأدبية بجريدة القدس يوم الأحد الموافق 16/5/1993. [↑](#footnote-ref-1)
2. () قاص غزي نشر العديد من أعماله القصصية في الصحف والمجلات .

   - انظر : مجلة بحوث الجامعة الإسلامية بغزة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، يناير1994 ، ص29. [↑](#footnote-ref-2)
3. () راجع : في بناء الشخصية ومستوياتها : ذهني ، محمود : تذوق الأدب ، طبعة الأنجلو المصريـة ، ص 146 - 154 . [↑](#footnote-ref-3)
4. () انظر : مكي ، الطاهر : القصة القصيرة - دراسة ومختارات ، ط 1 ، دار المعارف ، مصر ، 1977م ، ص 70 . [↑](#footnote-ref-4)
5. () راجع : مكي ، القصة القصيرة ، ص 73 . [↑](#footnote-ref-5)
6. () رشدي ، رشاد : فن القصة القصيرة ، 1977م ، ص 117 . [↑](#footnote-ref-6)
7. () راجع : مكي ، القصة القصيرة ، ص 64 . [↑](#footnote-ref-7)
8. () راجع : ذهني ، تذوق الأدب ، ص 155 . [↑](#footnote-ref-8)
9. () راجع : الهواري ، أحمد : البطل المعاصر ، ص 7 . [↑](#footnote-ref-9)
10. () راجع في أهمية العنوان : مجلة فصول ، المجلد الثاني ، العدد الرابع ، 198، ص 82 [↑](#footnote-ref-10)
11. () انظر : اللسان مادة هرج . [↑](#footnote-ref-11)
12. () حسونة ، خليل إبراهيم : رواية الأشياء ، طبعة دمشق ، 1992م . [↑](#footnote-ref-12)
13. () ولد خليل إبراهيم حسونة في فلسطين سنة 1948 ، وهو عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، له العديد من المجموعات القصصية ، والروايات ، والدواوين الشعرية ، والخواطر ، والدراسات ، منها : المجموعة القصصية "أبعاد" المطبوعة في ليبيا سنة 1987م ، ومجموعة "لا رائحة للبحر" المنشورة في دمشق سنة 1992م ، ومجموعة "النفير" الصادرة في تونس 1998م ، وديوان "انفجار البحر الميت الصادر في ليبيا سنة 199م، وديوان "الجرح تسافر فيه السكين" ، طبعة ليبيا ، سنة 1996م . [↑](#footnote-ref-13)
14. () الأشياء ، الصفحات 18 ، 98 ، 59 ، 90 ، 63 . [↑](#footnote-ref-14)
15. () الأشياء ، ص 38 ، 39 . [↑](#footnote-ref-15)
16. () الأشياء ، ص 56 ، 57 ، 59 ، 61 ،71 . [↑](#footnote-ref-16)
17. () الأشياء ، ص 17 . [↑](#footnote-ref-17)
18. () الأشياء ، ص 58 . [↑](#footnote-ref-18)
19. () الأشياء ، ص 98 . [↑](#footnote-ref-19)
20. () الأشياء ، ص 36 . [↑](#footnote-ref-20)
21. () الأشياء ، ص 36 . [↑](#footnote-ref-21)
22. () الأشياء ، ص 87 . [↑](#footnote-ref-22)
23. () الأشياء ، ص 24 – 25 . [↑](#footnote-ref-23)
24. () انظر : الأشياء ص 28 – 29 . [↑](#footnote-ref-24)
25. () عسقلاني ، غريب : الصبي والشمس الصغيرة – مجموعة قصصية - منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1992م. [↑](#footnote-ref-25)
26. () الصبي والشمس الصغيرة ، ص 1،2 . [↑](#footnote-ref-26)
27. () كتبت هذه القصة في أوائل الانتفاضة الأولى وتنبأت بما تمخض عنه الفعل الشعبي من حلول سياسية ، وكأن القاص كان يتخوف من الرهان على مفهوم التعايش السلمي من نماذج يهودية سياسية تعيد النظر في صهيونيتها . [↑](#footnote-ref-27)
28. () السابق ، ص 80 – 91 . [↑](#footnote-ref-28)
29. () السابق ، ص66 - 79 . [↑](#footnote-ref-29)
30. () السابق ، ص 59 - 65 . [↑](#footnote-ref-30)
31. () السابق ، ص 92 – 98 . [↑](#footnote-ref-31)
32. () نشرت في مجلة الساحل ، مجلة شهرية تصدر في غزة ، العدد الثاني ، رمضان، 1994م ، ص 55 . [↑](#footnote-ref-32)
33. () السابق ، ص 57 . [↑](#footnote-ref-33)
34. () السابق ، 57 . [↑](#footnote-ref-34)
35. () السابق ، ص 56 . [↑](#footnote-ref-35)
36. () نصار ، محمد : في صحبة الشيطان - مجموعة قصصية – غزة 1997م. [↑](#footnote-ref-36)
37. () كاتب غزي ، ولد عام 1960م ، صدر له العديد من الروايات والمجموعات القصصية، منها :رواية "رحلة العذاب" ، ورواية "صرخات" ، ومجموعة "القيد".. [↑](#footnote-ref-37)
38. () انظر : أعداد مجلة الرأي ، الزاوية الأدبية . [↑](#footnote-ref-38)
39. () انظر : مقالنا "ماذا نكتب في المرحلة المقبلة" ، مجلة الساحل الأدبي ، الصادرة في قطاع غزة ، العدد الخامس ، يناير 1995م ، ص61 . ومقال "أزمة إبداع أم أزمة تلقي"، مجلة الساحل الفلسطيني ، العدد الثالث عشر ،ص57 . والندوة الموسومة باسم "أزمة إبداع أم أزمة تلقي"، مجلة الساحل الفلسطيني ، العدد الرابع عشر ، ص58 . [↑](#footnote-ref-39)
40. () في صحبة الشيطان ، ص 3 . [↑](#footnote-ref-40)
41. () في صحبة الشيطان ، ص 8 . [↑](#footnote-ref-41)
42. () في صحبة الشيطان ، ص 10 . [↑](#footnote-ref-42)
43. () السابق ، ص 12 . [↑](#footnote-ref-43)
44. () رواية العنقاء ، طبعة دار سبيل للنشر ، أستراليا 1989م . [↑](#footnote-ref-44)
45. () رواية الخل الوفي ، طبعة دار النورس للنشر ، غزة 1997م . [↑](#footnote-ref-45)
46. () رواية الغول ، طبعة دار النورس للنشر ، غزة 1999م . [↑](#footnote-ref-46)
47. () ديوان متى ترك القطا ، طبعة دار النورس للنشر ، غزة 1996م. [↑](#footnote-ref-47)
48. () السابق ، ص6 . [↑](#footnote-ref-48)
49. () السابق ، ص 15 . [↑](#footnote-ref-49)
50. () السابق ، ص 34 . [↑](#footnote-ref-50)
51. () السابق ، ص 42 . [↑](#footnote-ref-51)